قصّة يوسف

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

نبيُّ الله يوسف: هو يوسف بن يعقوب إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمٰن. وفي القرآن سورة تحمل اسمه.

وكان ليوسف أحد عشر أخاً لأبيه، أصغرهم بنيامين. وهو أصغر منه بقليل. وأمُّهما ماتت أثناء نفاسها ببنيامين.

وبعد وفاة الأمِّ ذهب يوسف ومكث عند عمَّته مدة، ثم أخذه أبوه وكان شديدَ التعلق به، يبقيه معه أينما حلَّ وذهب. مما أثار غيرة إخوته منه، لأنَّ أباهم يحيطه بالرعاية والعناية أكثر منهم. فكانوا يقولون: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8].

وعلم الأب بنوايا أولاده تجاه يوسف من الكراهية وإضمار الشر له، مما زاد تعلقه به خشية عليه منهم.

رؤيا يوسف:

في أحد الأيام استيقظ يوسف من نومه وقد رأى حلماً غريباً. فقام وقصَّه على والده وقال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: 4].

فما كان من الأب إلَّا أن قال له: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: 5].

وبشَّره بأن الله سيُعَلّمه تفسير الأحلام، ويكون ذا شأن في مستقبل أيامه. ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6].

وسمعت امرأة يعقوب ما دار من حوار بين يوسف وأبيه. فما كان من زوجها يعقوب إلا أن أمرها أن تكتم ما سمعت، وقال لها: «لا تخبري أولادك بذلك».

فقالت: نعم.

ولكن ما إن أقبل الأولاد مساءً من مراعيهم حتى أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكتمها عنهم.

فما كان منهم إلا أن ازدادوا حنقاً وحقداً على يوسف. وقالوا لها: ما عنى بالشمس غير أبينا، ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا.

ثم قالوا: إن يوسف يريد أن يتملَّك علينا فحسدوه على ذلك.

المؤامرة على يوسف:

عقد إخوة يوسف اجتماعاً ينظرون ما هم فاعلين ليتخلَّصوا من يوسف ومن حبِّ أبيهم له.

فاجتمعوا وتحاوروا فيما بينهم وقرروا التخلص من يوسف بقتله فيرتاحون منه ويعود حبُّ أبيهم لهم. وعاهدوا أنفسهم أن يكونوا من بعد هذا العمل صالحين في الحياة. فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب.

ولكن هذا الأمر لم يرق لأحد الإخوة. فكانت رقة قلبه أكثر منهم قليلاً. وقال لهم: إذا أردتم أن تتخلَّصوا من يوسف ألقوه في قعر البئر

الموجود في المراعي عسى أن يراه أحد المسافرين ويأخذه، ويكون بهذا الأمر قد ابتعد عنكم وعن أبيكم، وتكونوا قد حقّقتم غايتكم من إبعاده والتخلُّص منه.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: 9- 10].

قرَّر الإخوة تنفيذ قرار الإبعاد بإلقاء يوسف في البئر. ولكن كيف السبيل إلى ذلك وأبوهم لا يفارق يوسف؟.

فعمدوا إلى أسلوب الحيلة وبدأوا يظهرون ليوسف التودُّد واللعب حتى شوّقوه ليذهب معهم إلى المراعي.

فقال لهم: كيف السبيل إلى ذلك؟ اسألوا أبي!.

فما كان منهم إلا أن وقفوا صفاً أمام أبيهم وقالوا له: يا أبانا، دع يوسف يذهب معنا إلى المراعي يلعب هناك نحفظه ونرعاه حتى نعود به في المساء. فامتنع. ولكنهم ألحُّوا في طلبهم و﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: 11- 12].

فما كان من الأب إلا أن: ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: 13]. فزاد في كراهيتهم ليوسف وقوّوا عزمهم على ما نَوَوْا. وكتموا ذلك وأظهروا خلافه لأبيهم ما دلّ على خبثهم حين ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: 14]. فأومؤوا إلى نيتهم ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾، يشيرون إلى احتمال ضياع يوسف. ولعلَّ يعقوب إنما قاله، لأنه رأى في منامه

كأن يوسف على رأس جبل، وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه، وإذا ذئب منها يحمي عنه. وكأنَّ الأرض قد انشقت، فدخل فيها يوسف، فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام. فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب. فلذلك قال لهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: 13].

تنفيذ المؤامرة:

فرح إخوة يوسف بأن مخطَّطهم سينفذ بعد أن سمح الأب ليوسف بمرافقة إخوته إلى المراعي .

ونام الجميع وكلُّهم مسرور .

يوسف الصغير نام مسروراً، لأنه في اليوم التالي سيكتشف عالماً جديداً يعرفه إخوته. وكان يمنّي نفسه باللعب والقفز الذي صوَّره له إخوته له في المراعي.

والإخوة ناموا مسرورين بأن يوسف سيكون بصحبتهم بعيداً عن أبيهم كي ينفذوا المؤامرة عليه.

وما إن طلع الصباح حتى استعد الجميع للرحيل، وأحضروا الزاد وذهبوا برفقة مواشيهم إلى المراعي.

فلما وصلوا كشف الإخوة عن نواياهم ليوسف وبدأ الجميع بضربه. وكان يستصرخهم واحداً تلو الآخر عسى أن يشفق أحدهم عليه ويرأف به! لكن دون جدوى.

وفي نهاية المطاف أمسكوا به ونزعوا عنه قميصه الذي كان يرتديه ،رَمَوْهُ في البئر الموجود بالقرب منهم.

وتركوه ومَضَوْا. وبدأ يوسف بالصراخ والعويل، فلم يرد أحد عليه.

وأوحى الله له وهو في البئر، بأنه سينقذه من هذا المأزق. وسوف يرى إخوته فيما بعد وينبّئهم بما كان من أمرهم معه وهم لا يشعرون بذلك. ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15].

ماذا فعل الإخوة بعد ذلك؟

أخذوا قميص يوسف وقاموا بصيد حيوان وذبحوه، وأخذوا دمه ووضعوا هذا الدم على قميص يوسف. حتى إذا ما عادوا في المساء إلى أبيهم أتوا له بحجّة أن الذئب قد أكله.

ولم يصدّق الأب قولهم فيما يقولون حتى يرى قميص يوسف وعليه من دمه. وخيل إليهم بفعلهم هذا أن أباهم سيصدّقهم فيما قالوا.

وفي المساء حان وقت عودتهم وكانوا يعودون قبيل المغرب. ولكن في هذه المرّة تأخروا.

لقد كان تأخُّرهم عمداً حتى يشتدَّ الظلام ويعودوا إلى أبيهم وهم يصرخون ويبكون. ولا يستطيع أن يرى ملامح وجوههم في الظلام، ذلك لأنه في تلك الأيام لم يكن لديهم أضواء للإنارة ليلاً.

وحينما قرب موعد عودة الأبناء ولم يعودوا، خرج يعقوب من منزله ينتظر عودة أولاده بفارغ الصبر وقلبه يحدثه بأن هناك أمراً ما قد حصل.

وقبيل العشاء جاء الأبناء ما عدا يوسف. وما إن اقتربوا من أبيهم

حتى ابتدأ ما اتفقوا عليه من التمثيل أمام أبيهم. فبدأوا بالصراخ والبكاء بأنهم قد حزنوا على يوسف.

وسألهم يعقوب عن يوسف أين هو؟!.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 17]. أي: لو كنا صادقين في دعوانا لن تصدِّقنا فكيف ونحن كاذبون. وهذا دليل كذبنا ﴿وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18].

من هنا لم يعجب يعقوب كلامهم. ولم يصدِّق أبناءه؛ لأنه يعلم حسدهم ليوسف. عندئذ أرادوا أن يُظْهِروا صدقهم على ما يقولون فيما يزعمون، وجاءوا لأبيهم بقميص يوسف ملطخ بالدماء.

وما إن وقع القميص بيد الأب حتى قَلَّبَهُ بين يديه ورآه ملطخاً بالدماء فعلاً ولكنه لم يمزق. إذ لو أن الذئب افترسه فعلاً على ما يدعون، فإن القميص يجب أن يكون ممزَّقاً، وهذا الأمر لم ينتبه له الأبناء. وكان هذا القميص بيّنة للأب أن ابنه لا يزال حَيًّا، وأن الذئب لم يفترسه.

وحزن يعقوب على فقد يوسف وتوكَّل على الله في أمره، وسأل الله أن يرده له سالماً معافاً.

يوسف في الجب[1]:

بعد أن أُلقِيَ يوسف في البئر، بقي وقتاً لا يعلمه إلا الله وهو يسبِّح

(1) الجب: البئر.

ربَّه، ويسأله كشف المحنة عنه. وجاءت ساعة الإجابة بكشف هذه المحنة بأن جاء بعض الناس المسافرين الذين يقصدون أرض مصر .

وما إن اقتربوا من موضع البئر الذي فيه يوسف حتى أمروا أحدهم أن يسبقهم إلى موضع البئر ليسقي مواشيهم ويسمَّى: الوارد.

وما إن وصل هذا إلى البئر، وحضَّر دلوه ووضعه في البئر ليجلب منه الماء حتى تمسك يوسف بالحبل وخرج من البئر. فأمسك به الرجل وصرخ من الفرح بأنه قد لقي شيئاً!. ووضعه رجال القافلة مع بضاعتهم وأرادوا بيعه في أرض مصر حيث يتوجَّهون. ولم يخبرهم يوسف بأمره خوفاً من إخوته وخوفاً من أن يقتلوه.

وذهبوا به إلى أرض مصر. وهناك باعوه بثمن قليل جداً، قياساً لمن هو في مثل صفاته. ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: 19- 20].

يوسف في مصر :

اشترى عزيز مصر يوسف، بعد أن رأى من جماله وحسنه وملامح ذكائه البادية على وجهه. وذهب به إلى منزله، وخاطب امرأته بأن تحسن معاملته عسى أن ينتفعوا به أو أن يجعلوه ولداً. إذ إنه في تلك الفترة لم يكن قد حَرُمَ التبني. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

يوسف وامرأة العزيز:

اهتمت امرأة العزيز بيوسف وأكرمته وأحسنت إليه. وكان كل يوم يزداد جمالاً وهو الذي حباه الله بهذه النعمة. ولكن هذا الجمال أوقع في نفس امرأة العزيز حبًّا لم تستطع أن تقاومه بعد أن وسوس لها الشيطان بأمر ما.

وفي أحد الأيام نوت هذه المرأة أن تنفرد بيوسف بعد خروج زوجها من المنزل.

وأغلقت الأبواب وعرضت نفسها على يوسف كي يُقبل عليها. فامتنع عن ذلك وقال لها: «معاذ الله» إن هذا خيانة لزوجك ربَّ هذا المنزل الذي أكرمني وأحسن إليّ.

ولكنها عادت إليه ولم تأبه لِمَا يقول. وأنقذه الله من هذا الموقف بأن أراه برهاناً عاد فيه إلى رشده.

وهذا البرهان قيل فيه الكثير. وقيل: إن امرأة العزيز كان لها صنم في الغرفة فقامت إليه تغطيه قبل أن تقوم بأي فعل. احتراماً لِمَا تعبد.

فقال: إن كانت امرأة العزيز تستحي من الصنم الذي لا ينفع ولا يضرُّ ولا يعقل، فحري بي أن أستحي من الله الخالق القدير. فكان هذا برهان ربِّه. ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ[1] وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: 23-24].

(1) الهمُّ بالشيء: ما حدّث المرء به نفسه ولم يفعله بعد.

فما كان منه إلا أن هرب منها إلى الباب ليفتحه بينما امرأة العزيز سابقته إلى الباب تأمره بالرجوع إليها. وقامت بإمساكه من الخلف مما مزّق قميصه الذي يرتديه.

وما إن وصلا إلى الباب حتى كان زوجها قد أتى برفقة أحد أقاربها، فلما رأت ذلك، تمالكت نفسها وغيّرت الحقيقة وقالت لزوجها: ما جزاء من يحاول أن يعتدي على زوجتك إلا السجن أو التعذيب بالضرب.

فما كان من يوسف إلا أن أقرّ بالحقيقة وقال: هي التي حاولت أن تدفعني إليها بينما أنا حاولت الهروب منها إلى الباب.

وكان قريبها الذي أتى مع زوجها يتمتّع بذكاء. وأراد أن يظهر الحقيقة ويلتمسها مما حوله. فوجّه كلامه لزوجها وقال: إن كان قميص يوسف قد مزّق من الأمام فتكون زوجتك صادقة فيما تقول؛ لأنها لو أراد بها يوسف شراً لكانت دافعت عن نفسها بتمزيق قميصه من الأمام.

أما إن كان قميص يوسف قد مزق من الوراء، فيكون هارباً منها وقد أمسكت به إمساكاً شديداً فمزّقت له ثوبه.

ولَمّا تفحّص قميص يوسف ورآه قد مزّق من الخلف. ظهرت براءة يوسف، وكذب امرأة العزيز.

عند ذلك أمر العزيز يوسف، بكتم ما حصل. حتى لا يكون حديث الناس في المدينة. وهو في مقامه كبير الشأن في قومه، كي لا يفتضح سرُّ بيته بين الخلق.

وأمر زوجته أن تستغفر لذنبها؛ لأنها آثمة بهذا العمل. ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ

شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

[يوسف: 25- 29].

امرأة العزيز والنسوة في المدينة:

تسرَّب الخبر إلى المدينة، وبدأت ألسنة الناس تخوض في هذا الحديث، وكان النسوة قد لاموا امرأة العزيز على ما كان من أمرها مع فتاها يوسف.

ووصل إليها ما يقال عنها في المدينة. فأرادت أن تقوم بعمل ما كي تبرِّر فعلها. فعمدت إلى أسلوب الحيلة، ودعت أشراف النساء إلى بيتها بعد أن أعدَّتْ لهن مكاناً يجلسن فيه. وكانت قد جهَّزت لضيافتهنَّ أنواعاً من الفاكهة بحاجة إلى سكاكين كي يأكلوه. وما كان منها إلا أن سنت السكاكين جيداً.

وما إن وصل النساء إلى بيتها وتسامرن معها في عدد من الأمور، حتى أمرت بالفاكهة والسكاكين أن تُحْضَر إليهنَّ. وما إن بدأن بتناول السكاكين وقصِّ الفاكهة حتى أمرت يوسف أن يخرج عليهنَّ. ودخل يوسف ورأينه على هذا الحسن من الجمال، فانشغلن به وجرحن أيديهن، دون أن يشعرن.

هنا قالت لهنَّ امرأة العزيز: هذا هو الفتى الذي تكلمتنَّ عليّ بشأنه.

فما رأيكنَّ به؟

فقالت النسوة لشدة جماله: من غير المعقول أن يكون هذا جمال بشر؛ بل ربما يكون ملاكاً لشدة جماله!.

وعندما رأت انبهارهنّ أمام جماله، أقرّت لهنّ بالحقيقة التي صدرت منها تجاهه، وأنه بريء.

وقالت لهنّ: ولئن أمرته بشيء ولم يستجب فسيكون السجن مصيره. ويكون من الأذلاّء المهانين بسلب النعمة التي وجد فيها. أي: في بيت من علية القوم، وهذا ما كان يتمناه الكثيرون.

هنا توجّه يوسف إلى ربه بالدعاء أن يصرف عنه ما فيه من البلاء. واستحب السجن على البقاء في هذا المأزق الكبير. ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف: 30-35].

ولما رأى الجميع براءة يوسف وعفّته، رأوا وضعه بالسجن فترة كي يسكت الناس ويُنسى خبره.

يوسف في السجن:

دخل يوسف السجن وحَمِدَ ربَّه على استجابته لدعائه بصرفه من المأزق الذي وضع فيه.

وكان يوسف في سجنه يسبِّح الله ويصلي، وكان إذا رأى أحد السجناء يائساً يقول له: اصبر فإن في ذلك أجراً. فوقع ذلك في قلوب السجناء وأحبّوه.

وقدر الله أن يدخل معه السجن فتيان. الأول: ساقي الخمر للملك، والثاني: صانع الخبز.

ورأى هذان كل واحد منهما رؤيا أذهلته. وقاما يخبران يوسف بهما.

فقال الأول: إني رأيت في المنام أني أعصر عنباً لأصنع منه خمراً.

وقال الثاني: إني رأيت في المنام أني أحمل فوق رأسي فرشاً من الخبز وتأتي الطيور إليه وتأكل منه.

وقالا له: يا يوسف، نبِّئنا بتفسير ما رأينا. إنا نراك على علم بتفسير الرؤى.

فما كان من يوسف إلا أن قال لهما: سأخبركم بنوع الطعام الذي ستأكلونه قبل مجيئه. وكأنه أراد أن يدعوهم إلى الإيمان ويستغلَّ فرصة سماعهم لقوله. وانطلق من هذا إلى إخبارهم أنه يعلم ذلك لتعليم الله له. وأنه ترك ملَّة الناس المشركين واتبع ملَّة الإسلام بتوحيد الله التي اتَّبعها آباؤه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: 36-37].

وقام يدعو السجناء إلى وحدانيّة الله. ودعا صاحبيه إلى الله وبيّن لهم بالدليل العقليّ أن تعدُّد الآلهة يدل على عجزها ووحدته تدل على قوّته، وقال لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39]. وبيّن لهما أن الله هو المتصرّف الوحيد بهذا الكون، أمره مطاع وقضاؤه نافذ. ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف: 40]، ثم أخبرهم أن عبادتهم للأصنام واعتبارهم إيّاها آلهة ما هو إلّا وهم لم يثبت عقلاً ولا نقلاً ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: 40]، فدعاهما إلى توحيد الله ونبذ ما هم عليه من باطل، وأخبرهما أن ذلك هو الدين الصالح في نفسه، المصلح للناس ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: 40]، ولكن الناس في غفلة عن ذلك يجهلون ما يجب، ويجهلون ما يجب عليهم معرفته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 40].

ثم شرع يفسر لهما المنام الذي رآه كل منهما. وقال لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [يوسف: 41]. فبيّن لهما أن أحدهما سينجو ويعود إلى عمله والآخر سيقتل لا محالة. وبيّن لهما أن ذلك أمر محكم قد فُرغ منه، ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: 41]. وهنا تشوّق يوسف للخروج من السجن. فطلب إلى أحدهما أن يذكره عند الملك ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42]. فالتفت إلى مخلوق ونسي إحسان الله إليه، وإجابته دعوته. فعاقبه الله ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42].

ولما حان وقت خروج يوسف هيأ الله أسباب ذلك فكانت رؤيا الملك.

رؤيا الملك:

رأى الملك رؤيا أخافته ملخصها:

أن سبع بقرات عجاف أكلن سبع بقرات سمان وبقين نحيفات. ورأى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات. فخاف من ذلك الحلم العجيب وطلب تفسيراً له.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: 43- 44]. فقص الرؤيا وطلب تفسيرها. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[1] [يوسف: 45].

وهنا تذكَّر الساقي يوسف وتأكَّد له أنَّه الوحيد القادر على تفسير المنام. فقال واثقاً: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45].

وقال الساقي للملك: أرسلني إليه لأعود لك بتفسير ما رأيت. فأذن له. وانطلق الساقي إلى يوسف.

وما إن وصل إليه وسلَّم عليه حتى أخبره بأمر رؤيا الملك وقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 46].

فما كان من يوسف إلا أن قام من فوره بتفسير الرؤيا و﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ

(1) اذكر بعد أمة: تذكَّر بعد مدَّة.

بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: 47- 49].

فأشار يوسف بزرع الأرض زراعة متواصلة، مدَّة سبع سنين، وأكل ما يلزمهم فقط. وبإنشاء مخازن كبيرة لتخزين القمح الباقي، بعد تركه في سنابله لسني المجاعة[1]، بحيث يأكل الناس اللُّب ويجعل قشر القمح مع السنابل علفاً للدواب. فيكون الجميع بهذه الطريقة قد أمّن قُوته.

شكر الساقي يوسف على تفسيره لرؤيا الملك وودَّعه وانطلق فرحاً. وما إن وصل إلى الملك وأخبره بتفسير يوسف لهذه الرؤيا بعد أن عجز الناس عن تفسيرها، عرف أن لديه فصاحة، فأرسل في طلبه ليحضر بين يديه.

وما إن جاءه رسول الملك حتى أزِفت ساعة النجاة، وبدلاً من أن يذهب إلى حضرة الملك فرحاً من دون نقاش، أبى أن يخرج من السجن إلا بعد أن تظهر براءته وهو الطاهر ابن الطاهرين من آبائه الأنبياء.

فقال للرسول: ارجع إلى الملك ودعه يسأل عن النساء اللاتي جرحن أيديهنّ منذ زمن. وما كان من أمرهنّ مع امرأة العزيز.

أرسل الملك في طلب النساء واستفسر منهنَّ عن أمر يوسف. وشهدن بأنه عفيف طاهر، وأنَّه دخل السجن ظلماً كما شهدت بذلك امرأة العزيز.

وما كان طلب يوسف من إظهار براءته، إلَّا ليعلم سيده العزيز أنَّه

(1) ترك القمح في سنبله، يجعله سليماً لفترات طويلة، مما اعتاده الناس في الحروب، بعد أن تعلّموا ذلك من يوسف.

بريء وأنه لم يخنه في أهله. ولتكون صحيفته بيضاء نقية أمام الملك، وأمام جميع الناس.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: 50- 52].

وحول براءة يوسف ذكر عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء كلمة قديمة للإمام الفخر الرازي أوردها في تفسيره، خلاصتها: إن يوسف قد دلّ الله ببراءته بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]. وشهد الشيطان ببراءته ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: 39-40]. وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف: 26-29]. وشهد ببراءته النسوة اللائي قطّعن أيديهن بقولهنَّ: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: 51]. وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

يوسف بحضرة الملك:

بعد ظهور براءة يوسف ازداد إعجاب الملك به وصمَّم أن يجعله وزيره الخاص. وأرسل إليه رسولاً من قِبله للمثول بين يديه. وخرج من

السجن عالي الجبين، نقيَّ السريرة.

ومَثَلَ بين يدي الملك.

وأخبره الملك أنَّه ذا مكانة عنده، وأنَّه يثق به. وطلب يوسف من الملك أن يولِّيه مهمة إدارة الأزمة.

وكان له ما أراد.

وانتقل من السجن إلى أبَّهة الملك، وصار الرجل الأول في مصر بعد الملك، ومن أقرب المقربين لديه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: 54-57].

سني المجاعة:

بعد أن تسلَّم يوسف مهامَّه من الملك قام من فوره بإصدار التعليمات إلى الناس بالإكثار من زراعة القمح بزيادة رقعة الأراضي الزراعيَّة. وقام بنفسه بالإشراف على تخزين الزائد عن حاجة الناس، ليكون في خزائن مخصوصة تحت إشرافه المباشر.

وانتهت السنين الخصبة التي أشار إليها يوسف من خلال رؤيا الملك. وبدأت السنين العجاف، سني المجاعة. وابتدأ الناس يشعرون بالجوع فكان الواحد يأتي إلى خزائن الملك يضع بضاعته أو ماله ويشتري من الملك ما يسدُّ به رمقه، ورمق عياله.

وروي أن يوسف في سني المجاعة كان لا يشبع من الطعام في يومه. وقيل له ذات يوم: أتجوع وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: نعم لأني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع.

المجاعة وإخوة يوسف:

لم تقتصر سني الجدب على مصر وحدها؛ بل عمّ بقية المناطق المحيطة. وكان قد سرى بين الناس، أن من يريد الطعام لأهله، عليه أن يذهب إلى مصر حيث القمح موجود فيها بكثرة، بين يدي ملك عادل.

وكان بين تلك المناطق فلسطين، حيث يقطن إخوة يوسف مع أبيهم. وشعر هؤلاء بالجوع، شأن غيرهم من أهل الجوار. فما كان منهم إلا أن طلبوا من أبيهم السفر إلى مصر لجلب الطعام. فأذن لهم أبوهم وذهبوا بما لديهم من جمال وحمير، وحاملين معهم ثمن الطعام.

وحينما وصلوا أرض مصر، ذهبوا من فورهم إلى حيث الطعام، ورآهم يوسف فعرفهم، وهم لم يعرفوه. وكيف يعرفونه، وقد بدَّلته السنون، وزادته أُبَّهَة الملك جمالاً إلى جماله. وهم على ما هم عليه، لم يتغيَّر فيهم شيء، سوى ملامح قليلة في وجوههم تركتها السنين.

وإخوته الذين أتوا كانوا عشرة. ولم يكن معهم بنيامين. هنا لم يُظهر يوسف معرفته لهم؛ بل أسرَّها في نفسه. وعمد إلى استدراجهم كي يعلم أخبار أخيه بنيامين، وعلم منهم أنه بخير، وأنه موجود عند أبيه في فلسطين، ولم يأذن له بالذهاب معهم.

عند ذلك أمر يوسف العمال، بأن يكيلوا لهم القمح بعد أن دفعوا ثمنه. وعندما همَّوا بالرحيل عائدين إلى بلادهم، إذا بيوسف يقول لهم: في المرَّة القادمة عليكم أن تأتوا بأخ لكم من أبيكم وتبتاعوا القمح. ألا

ترون أنّي أوفي لكم الكيل، وأنّي خير من يستقبل الناس من جميع الأنحاء. وإن لم تأتوا بأخيكم الذي تقولون إنه موجود عند أبيكم، فلا كيل لكم عندي. وذلك لنعلم أنّكم صادقين فيما تدّعون أم لا؟!.

وأمر يوسف أحد عماله قبيل مغادرتهم المكان، أن يضع ثمن الطعام الذي جاءوا به بين أوعيتهم، لعلّهم يرجعون مرّة أخرى، لأنّه يعلم أن إخوته أولاد يعقوب، لا تسمح لهم أنفسهم بأخذ شيء ليس لهم.

وعمد يوسف بهذا التصرف ليأتوا له بأخيه الذي ازداد شوقاً إليه. ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: 58-62].

ووصل إخوة يوسف إلى أهلهم بالطعام، وأخبروا أباهم بما كان من أمر عزيز مصر، وأنّه لا يعطيهم طعاماً مرّة أخرى، إلا إذا كان أخوهم بنيامين معهم.

هنا تذكّر يعقوب ما كان من أمر أولاده مع يوسف، وقال لهم: كيف آمنكم عليه وعلى حفظه، وأنتم فعلتم ما فعلتم بيوسف.

وبعد هذا الحوار الذي تمّ بين الأبناء والأب قاموا وفتحوا أوعيتهم لإخراج الطعام لأهليهم، ولكن وجدوا شيئاً!.

لقد وجدوا ثمن الطعام في رحالهم. هنا تذكروا كرم يوسف لهم وحاولوا محاورة أبيهم من جديد بأن يعطيهم أخاهم بنيامين ليعودوا مرّة

أخرى إلى عزيز مصر، إلى ذلك الكريم الذي أعطاهم الطعام وردَّ إليهم الثمن. وقالوا لوالدهم: إن سمحت لنا بأخذ بنيامين نستطيع أن نعود بالطعام مرَّة أخرى ونزداد كيل بعير آخر.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: 63 - 65].

فكَّر يعقوب بما يقوله أبناؤه، فرأى من الحكمة أن يذهب الجميع إلى أرض مصر لإحضار الطعام، لأنَّهم إن لم يذهبوا يقضي الجميع جوعاً. وفي الوقت نفسه كان يخاف من مكرهم، الذي أودى في المرَّة الأولى إلى فقد ولده يوسف، ويخاف هذه المرَّة أن يفقد الآخر بنيامين.

وبعد إصرارهم وتفكيره طويلاً، أذن لهم بعد أن أخذ منهم عهداً على أن لا يتعرَّضوا له بسوء وأن يحفظوه، وأنهم إذا ما تعرضوا للهلاك عليهم أن يهلكوا دونه. وأقسموا بالله العظيم على ذلك، وقال لهم أبوهم: «والله على ما نقول وكيل».

ووصَّى أولاده إذا ما اقتربوا من أبواب المدينة في مصر، عليهم أن يدخلوها من أبواب متفرقة وليس من باب واحد حتى لا يثيروا الشكوك من حولهم، ويُحفظوا من عيون الناس والحساد.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ

بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف :66 - 67].

إخوة يوسف برفقة بنيامين:

عاد إخوة يوسف إلى مصر برفقة بنيامين، ليتزوَّدوا بالطعام. وعملوا بنصيحة أبيهم، فدخلوا المدينة من عدَّة أبواب وليس من باب واحد.

وما إن وصلوا إلى المدينة ودخلوا على يوسف - ولا يزالون لا يعرفونه - عرفهم وأكرمهم بواجب الضيافة. وجزَّأهم اثنين اثنين للمبيت، وانفرد ببنيامين فضمَّه إليه فكانا اثنين. ولما خلا به عرّفه أنَّه أخوه يوسف وجعل يضمُّه إلى صدره ويقبِّله.

وتعانق الاثنان، وأمر يوسف أخاه بنيامين بكتم أمره عن إخوته، فعمل بما أشار عليه يوسف. ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: 69].

وأراد الاثنان أن يبقيا معاً، ولكن لا يكون ذلك إلا بحيلة اتفقا على تنفيذها. وهو أن تُحَمَّل رحال الجميع بالطعام ويُدَسَّ صواع الملك[1] في رحل بنيامين. وحينما تزفُّ ساعة الرحيل يُنادَى على القوم، ومن يُوجد صواع الملك في رحله يكون هو السارق، ويستطيع ساعتئذٍ يوسف أن يقتصَّ منه. وهنا يستطيع يوسف أن يستبقي أخاه عنده.

(1) صواع الملك: الكيل المصنوع من الذهب، الذي يشرب فيه الملك ويكال فيه الطعام.

وبالفعل حُمِّلت رحال إخوة يوسف بالطعام. وأمر يوسف أحد العمال أن يضع صواع الملك في رحل بنيامين. وودَّع الجميع يوسف وشكروه على كرمه. وهمّوا بالمغادرة وبنيامين لا يزال معهم.

وإذا بمنادي الملك يأمرهم بالتوقُّف، وبعدم المغادرة لفقد صواع الملك. وقيل لهم: لمن يأتي بهذا الصواع له حمل بعير. وأنكر الإخوة المغادرين هذا الأمر الذي اتُّهموا به.

وقبل أن تفتَّش رحالهم قيل لهم: ما جزاء من يُعثر عليه في رحله في شريعتكم؟

قالوا: جزاؤه أن يأخذه صاحب المال رقيقاً عنده. ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف: 70-75].

وأراد يوسف بهذا أن يستدرجهم ليأخذ أخاه، وبدأ تفتيش الرحال الواحد بعد الآخر، وجعلوا البحث في رحل بنيامين متأخِّراً عن الباقين كي يتمَّ سبك الحيلة عليهم.

وما إن وصل التفتيش إلى رحل بنيامين حتى ظهر صواع الملك. فاغتاظ إخوة يوسف وقالوا عن بنيامين: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل كذلك.

وحينما اتَّهم الإخوة يوسف بالسرقة أسرَّ إساءتهم وقال في نفسه: أنتم الشريرون والله أعلم بكم. ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: 76-77].

وما أن انتهى التفتيش حتى قُبِضَ على بنيامين بتدبير مسبق بين الجميع. وهنا تذكَّر الإخوة العهد الذي قطعوه لأبيهم بأن يحفظوا أخاهم بنيامين. ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78]. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: 79].

عودة الإخوة إلى أبيهم دون بنيامين:

بعد أن أصرَّ يوسف على استبقاء بنيامين عنده، ذهب الإخوة يجتمعون ويتناجون فيما بينهم، وفيما يتصرفون حيال أبيهم عندما يلاقونه. فقال كبيرهم: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: 80].

وبقي كبيرهم في أرض مصر بعد أن أمر إخوته بالرجوع إلى أبيهم وإخباره بأن ابنه بنيامين سرق، وإنهم لم يكونوا يعلمون بأمره. ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

وذهبوا إلى أبيهم وأخبروه بما حصل. ولكن أباهم لم يصدِّقهم. وأرادوا إثبات صدقهم فقالوا له: فاسأل أصحاب العير[1] الذين كانوا قد شهدوا ما حصل وهم معنا من جيراننا. فلم يصدِّقهم يعقوب، لأنَّ لهم سابقة قديمة كانت لهم مع يوسف حينما استأمنهم عليه. وذهبوا به دون عودة. ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: 82 - 83].

وتجاهلهم يعقوب، وذكر حنينه ليوسف، وابيضَّت عيناه من الحزن ومن شدة البكاء. ولكن أولاده اقتربوا منه وقالوا له: «ستظل تذكر يوسف حتى تهلك أو تموت». وذلك من خوفهم على أبيهم.

فقال لهم: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86].

يعقوب يرسل أولاده إلى مصر:

بعد أن هَدَأ روع يعقوب، جمع أولاده من حوله، وقال لهم: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

وامتثل الأولاد لأمر أبيهم، وذهبوا مرة ثالثة إلى مصر بحثاً عن إخوتهم، وطلباً للطعام، الذي كاد ينفد من عندهم، وشارفوا على الهلاك، حتى لم يعد لديهم ثمن الطعام الذي سيبتاعونه إلا أن يتصدَّق عليهم يوسف به.

---

(1) العير: الحمير.

وما إن وصلوا إلى أرض مصر ودخلوا على يوسف حتى قالوا له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ[1] فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

وبعد أن رأى يوسف حال إخوته أشفق عليهم وبكى، ثم ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: 89].

هنا تنبَّه الإخوة للعزيز، ولنبرات صوته، ولعباراته التي أوردها لهم، ولا يعلمها إلَّا هم ويوسف، فتنبَّهوا للأمر و﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: 90].

﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 91].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ[2] يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 92].

واجتمع شمل جميع الإخوة، بعد أن سامحهم يوسف على ما كان منهم، وما سبَّبوه له من الذلّ والمهانة، وبعده عن أهله السنين الطوال. وما لاقاه من أهوال في حياته، وسبَّبت له الدخول إلى السجن ظلماً.

وأثناء حواراتهم مع بعضهم، ذكروا ليوسف حال أبيهم، وفقده بصره من شدة حزنه على يوسف وعلى أخيه.

---

(1) ببضاعة مزجاة: بضاعة رديئة لا تساوي ثمن الطعام.

(2) لا تثريب عليكم اليوم: لا تأنيب عليكم اليوم فقد سامحتكم على ما كان منكم.

فما كان منه وهو النبيُّ، أن ألهمه الله، أن يعطي قميصه لإخوته. وأن يذهبوا به ويضعوه على وجه أبيهم، فيعود له بصره بإذن الله. وأمر إخوته بعد ذلك، بأن يأتوا بأهلهم أجمعين إلى أرض مصر. ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93].

وغادر الإخوة أرض مصر، يريدون أرض فلسطين، ومعهم قميص يوسف، وما إن قطعت القافلة مسافة من الطريق، وإذا بريح تمرُّ من تلك الناحية، فحملت معها رائحة قميص يوسف، ومرَّت فوق يعقوب. فشم رائحة يوسف ولده وحبيبه، الذي فقده من سنين طويلة.

فرح يعقوب بذلك وتكلَّم مع من حوله بهذا الشأن، وأراد أن يصدِّقوه. ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ[1]﴾ [يوسف: 94].

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95].

وظلَّ يعقوب موقناً أن ما يشمُّه هو رائحة يوسف فعلاً. وانتظر عودة أولاده بفارغ الصبر حتى أتاه من سبق القافلة بأنَّ ولده يوسف لا يزال على قيد الحياة، وأنَّه من أعيان مصر الكبار. وأخذ قميص يوسف الذي بحوزته وألقاه على وجه أبيه فارتدَّ بصيراً. ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96].

ووصل الأبناء إلى أهليهم واجتمعوا بأبيهم واعترفوا بذنبهم و﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 97].

---

(1) تفنِّدون: تتَّهموني بالخرف.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: 98].

عودة الجميع إلى مصر ولقائهم بيوسف:

بعد أن ارتاح الجميع عزموا أمرهم على الرحيل وبدأوا بحزم أمتعتهم ومغادرة المكان، إلى مصر، إلى يوسف.

ومشت القافلة وكان بينها يعقوب وزوجته ـ خالة يوسف وبمقام أمّه ـ. وما إن وصل الجميع إلى أرض مصر، حتى دخلوا على يوسف.

فما كان منه إلا أن تقدم وسلم على أبويه ورفعهما على العرش. وخر الجميع له سجداً. وذلك بمعنى التحيَّة والإكبار له.

عند ذلك تذكرَّ يوسف الحلم الذي رآه في صغره، وقصَّه على أبيه قبل أن يُلقى في البئر. وقال لوالده: إنَّ هذه الرؤيا قد جعلها الله حقيقة. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: 99 - 100].

وبعد أن تمَّ اللقاء بين الجميع، لم يزدد يوسف إلا تواضعاً لله. ودعا بهذا الدعاء فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

موت يوسف:

بعد هذه الحياة الحافلة بالمفاجآت مات يوسف عن عمر يناهز مائة وعشرين سنة. وتوفي في أرض مصر ودفن فيها.

العبر من قصة يوسف:

يؤخذ من قصة يوسف عدة عبر، منها:

1 - أن لا يسخر إنسان من إنسان آخر، فربما من يُسخر منه اليوم يكون أفضل من الذي سخر منه غداً، كما فعل إخوة يوسف حينما ضربوه وسخروا منه وأَلْقَوْهُ في البئر. وحينما كبر كان في موضع القوَّة وساعدهم في إيجاد الطعام وأرسل إليهم كي يدخلوا مصر الأرض الخصبة.

2 - ملامح الخير في الفتى يراها كل من له بصيرة.

3 - قد يُحسن الإنسان إلى غيره من حيث يريد الإساءة ، فإخوة يوسف أرادوا إبعاده والإساءة إليه فكان أن هيَّأ الله له مكانةً في مصر.

4 - يجب التفكّر والتحقيق من الأقوال والأفعال وعدم التسرُّع في الحكم على الأمور، كما تفحَّص يعقوب قميص يوسف عندما جاء أولاده بقميص يوسف وعليه دم كذب وهم يدَّعون أن الذئب أكله. أيضاً ما كان من أمر يوسف مع امرأة العزيز عندما ادَّعت أن يوسف يراودها، فما كان من قريب لها إلا أن فكّر وأتى بالأدلَّة على كذبها وصدق دعوى يوسف.

5 - التحقق في علم الجريمة واجب كما ادَّعت امرأة العزيز ظلماً أن يوسف راودها عن نفسها. وجاء قريبها وجاء بالبيِّنة بالتحقيق: ﴿إن

كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ [يوسف: 26 - 29].

6 - من يحفظ الله يحفظه كما حفظ يوسف نفسه من كيد امرأة العزيز.

7 - الفراغ يجلب المصائب كما كان الأمر من فراغ امرأة العزيز من الأعمال، مما دعاها إلى التفكير بمراودة يوسف عن نفسه.

8 - الصبر عاقبته الظفر، فصبر يوسف على ما أصابه حقَّق له أعلى مكانة.

9 - على من يدعو إلى الله أن يتخيَّر الوقت المناسب كما فعل يوسف مع صاحبَي السجن.

10 - هناك في السجن مظاليم يجب أن يحتسبوا أمرهم عند الله، ويصبروا حتى يفرّج الله عنهم، كما فرّج عن يوسف. وليُعْلَم أن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة.

11 - المؤمن لا يعرف الحقد كما مرّ مع يوسف عندما فسّر منام الملك، مع أن طالب التفسير أخلفه ما وعده من إخبار الملك بأمره.

12 - التميُّز بالحلم وطول البال زينة المرء كما تميَّز به يوسف عندما سنحت الفرصة لإخراجه من السجن. فأبى الخروج إلّا بعد ظهور براءته كي يخرج رافع الرأس عالي الجبين.

13 - التميُّز بصحة الاختيار زينة المرء أيضاً، كما تميَّز به يوسف

عندما طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، إذ إنه لم يكن له ثقة بأحد يكون في هذا الموضع الحسَّاس. ليرى ويوجِّه عن كثب ما يقوم الناس بفعله، ويسهر على أرواح الناس في مصاب الجوع.

14 - التميُّز بالعدل من شيم الكرام كما تميَّز به يوسف عندما كان في السلطة، ورفض أن يأخذ أحداً مقابل من وجد صواع الملك في رحله. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76].

15 - التميُّز بالصفح من شيم الكرام، وتجلى ذلك عندما سامح يوسف إخوته عما سبَّبوا له من الشقاء والتعاسة في مقتبل حياته.

16 - الكرم من الصفات الحميدة التي يتحلَّى بها المؤمن، كما كان ذلك واضحاً في صفات يوسف حينما أرسل في طلب إخوته وحملهم إلى أرض مصر.

17 - التواضع لله واجب على المؤمن مهما بلغ شأنه في هذه الحياة وكلما ازداد تواضعاً لله كلما ازداد رفعةً وقرباً من الله. وهذا نبيُّ الله يوسف تميَّز بالشكر لله على ما أنعم عليه من النعم وجعله في منصب كبير، ودعا ربَّ العزة وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

18 - التعلُّم من يوسف أن هناك خططاً يجب أن تعمدها الدولة. وهو ما نسمِّيه اليوم الخطة البعيدة المدى. ويتجلَّى ذلك عندما خطط للاحتياط لسني المجاعة، بالعمل على الزراعة طيلة سبع سنوات، ثم التنظيم في العطاء لمن يطلب الطعام.

19 – إن قصّة يوسف عُبّر عنها بأنّها أحسن القصص؛ لأنَّ فيها ذكر الأنبياء والصالحين وسير الملوك والتجار والعقلاء والجهلاء، وحال الرجال والنساء ومكرهنَّ وحيلهنَّ، وفيها ذكر العفة والتوحيد وتعبير الرؤيا وآداب السياسة وتدبير المعاش إلخ . . ولأنّها تصلح للدين والدنيا.

obeikandl.com